مهرجان

تحية إلى جوسلين صعب وأسامة فوزي «ايام بيروت» آخر حصون «سينما المؤلف»

دورة التنوّع... تجارب مغايرة في خضم الراهن العربي

علي وجيه

ليست دورةً عاديّةً بالتأكيد. إنّها النسخة العاشرة من «أيام بيروت السينمائية» تنطلق اليوم، بالتزامن مع مرور 20 سنة على انطلاق جمعيّة «بيروت دي سي»، التي تنظّم «الأيّام» كل عامين. تنظيم حدث ثقافيّ مستمر في بلد مفاجآت مثل لبنان، مغامرة بلا ضمانات. التمويل مشكلة دائمة. إنّه أحد أسباب عدم الالتزام بموعد سنوي. أساس تقليل عدد الأفلام الطويلة إلى 17 هذا العام (عادةً يراوح بين 40 و50). تحاول «بيروت دي سي» تعويض ذلك بإقامة أنشطة على مدار العام احتفاءً بالعشرية، وتوسيع الدائرة خارج العاصمة إلى طرابلس وصيدا وحمّانا. لطالما حلم المنظّمون بذلك. كذلك، تتفرّع «أيّام بيروت» عن «شجرة عائلة» أكبر هي «أسبوع بيروت السينمائي». التتمّة تتضمّن «ملتقى بيروت السينمائي» (29 – 31 آذار)، وهو منصّة للإنتاج المشترك، و«مختبر صناعة التأثير» (26 - 29 آذار)، وهو ورشة عمل عن دور الأفلام الوثائقية في التغيير المجتمعي. الملتقى تنظّمه «بيروت دي سي» و«مؤسسة سينما لبنان». يجمع نحو 40 اختصاصياً ومنتجاً. تضمّ مسابقته 14 مشروعاً قيد التطوير، و7 في مرحلة الإنجاز، إضافةً إلى 8 مشاريع خارج المسابقة. أفلام مرتقبة من لبنان وسوريا والأردن وفلسطين ومصر والسودان وتونس والجزائر وليبيا. تقليص البرمجة لم يأتِ على حساب «التنوّع»، الذي ترفعه هذه الدورة كعنوان لافت. كالعادة، تحاول جلب الجديد والجيّد والجدي من السينما العربيّة. تركّز على الراهن من القضايا والأفكار. تتيح للجمهور اللبناني مشاهدة عناوين سمع عن مشاركاتها في مهرجانات كبيرة. هكذا، نترقّب أشرطة سجاليّة طازجة عن مجازر الاحتلال الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، وصولاً إلى ثورات مصر وتونس وليبيا، وظاهرتي التطرف والعنف، ومعاناة اللجوء، مروراً بالفقر والفساد والقضايا الإنسانية والاجتماعية، وسعي المرأة العربية إلى التحرر. بلغة الأرقام، لدينا 17 فيلماً طويلاً، موزّعة بين 11 وثائقياً و6 روائية. قسم الأفلام التجريبيّة يحتوي على 4 عناوين، منها جديد غسّان سلهب «وردة». في النشاطات الموازية، أمسية تكريميّة للراحلة جوسلين صعب، عبر ندوة يديرها المخرج هادي زكّاك (3 نيسان . س: 19:00 . دار النمر). كذلك، تحيّة للمصري الكبير أسامة فوزي (راجع مقال الزميل عصام زكريا) كما تُخصص ليلة لأفلام الفيديو الموسيقية (4/4).

«غزّة تحت الضوء»

3 وثائقيات تعرض في «دار النمر» ضمن قسم يبرز معاناة الفلسطينيّين ونضالهم، والعسف الإسرائيلي، بعدسات سينمائيّين من الخارج. الأبرز هو «طريق السمّوني» (2018، 129د . 30 آذار . س: 18:30) للإيطاليّ ستيفانو سافونا. شريط مؤثّر، عن المجزرة الإسرائيليّة، التي أودت بحياة 29 من أفراد عائلة السمّوني، خلال عملية «الرصاص المصبوب» 2009. السرد متحرّر من التقليدي والمتعارف عليه. يعيد تركيب الحكاية، وتجميع الصورة، وإحياء الموتى. يمزج الشهادات والمعاينات الحيّة، مع لقطات جوية للقصف المتعمّد، وأنيماشن قلم الرصاص (سيمون ماسي). منظور إنساني، موغل في تناول نبض الحياة والمشاعر، بعيداً عن الريبورتاج والحس الإخباري. بذكاء، نرى وحشيّة احتلال، وإصرار ضحايا مدنيّين على الحياة، والبدء ثانيةً. نجاح سافونا في الإفلات من شرك الاستشراق والتنميط، يرفع من أسهم عمله. ربّما لأنّه «ينقّب» بصبر آتٍ من دراسته علم الآثار، إذ يستغرق 9 سنوات لإنجاز الشريط. في المقابل، ثمّة استشراق معروف في «أبولو غزّة» (2018 . 79 د . 1 نيسان) للسويسري نيكولاس فاديموف. العثور على تمثال لإله الجمال والفنون في قاع البحر، ثمّ اختفاؤه في ظروف غامضة، يشعل شرارة البحث والاستقصاء والتأويل. أين القطعة النفيسة؟ هل هي موجودة حقاً؟ هل وقعت في قبضة «حماس» أم تمّ تهريبها إلى الخارج؟ الأسئلة آنية لا تكاد تنفتح على سياق سياسي واجتماعي ضمن «أكبر سجن في العالم»، حتى تنكمش مجدّداً. أيضاً، يعرض المهرجان وثائقياً قصيراً من إسبانيا بعنوان «غزّة» (2019 . 18 د . 1 نيسان . س: 18:30) لخوليو بيريز وكارليس بوفر، بمثابة رحلة إلى واقع فلسطينيّ منتهك بالاحتلال والحصار.

أشرطة لبنانيّة: أفلمة الأسرة

إضافةً إلى «وردة»، و«ركعتان في العشق» لرامي صبّاغ في قسم الأفلام التجريبيّة، نحن على موعد مع أربعة وثائقيات لبنانية. معظمها يتخذ من الأسرة أساساً لطرح قضايا، وملامسة مستويات أكثر عمقاً وشمولية. «طرس - رحلة الصعود إلى المرئي» (2018 . 76 د . 3 نيسان . س:19:30 . متروبوليس) لغسان حلواني، عمل في غاية الذكاء والبراعة. يصل بتنويه خاص من لوكارنو، وجائزة «فتحي فرج لأحسن إسهام فني» في مسابقة أسبوع النقاد الدولي، من «مهرجان القاهرة» الأخير، و«التانيت البرونزي» للأفلام الوثائقية من قرطاج. يتساءل عن مفقودي الحرب الأهلية اللبنانية بأسلوب استكشافي، من خلال كشط ملصقات إعلانيّة مهملة على جدران بيروت. حقب متعاقبة تحت أخرى، وصولاً إلى وجوه المفقودين الشاخصة. قراءة هادئة فيها الكثير من الدهاء والتجريب، باعتماد الكتابة على الشاشة، والأنيماشن، والتجهيز، والأرشيف الحي. ثمّة رتابة مقصودة. تحثّ على التفكير والاستلاب في آن، غير أنّ قوّة الصنعة تحميه من الانزلاق إلى الملل والنفور. لحظات الوصول إلى وجه المفقود، ومقارنته بصور، وتدوين اسمه، مثيرة للقشعريرة بالفعل. من الواضح أنّ حلواني مهموم بالقضيّة. هو ابن لأحد المفقودين (زياد حلواني)، ومؤسّسة لجنة تطالب بكشف مصيرهم (وداد حلواني). أكثر من ذلك. ها هو يتهم السلطة اللبنانيّة بارتكاب الجريمة الكاملة. «فعل القتل» عندما كانت مقسّمة إلى ميليشيات، و«إخفاء آثار الجريمة» عندما تولّت المقاليد. المقابر الجماعية باتت ممتزجةً بعمران حديث يدّعي تجاوز الحرب وآثارها.

بعد العرض الأوّل في «روتردام السينمائي»، يصل جديد سينتيا شقير «بمشي وبعدّ» (2018 . 87 د . 1 نيسان . س: 21:30 . متروبوليس) السينمائيّة اللبنانيّة معنية دائماً بالشأن العام وحقوق الإنسان، إضافةً إلى صناعة الأفلام بدأب ومثابرة. هنا، ترافق أختها سابين ورفاقها في منظّمة «مهرجون بلا حدود» إلى ليسبوس اليونانيّة، لاستقبال موجات اللاجئين بأنوف حمراء ووجوه ضاحكة. بيد أنّهم يجدون البوابات المغلقة والأسلاك الشائكة حائلاً وسجناً. هكذا، تتحوّل المهمّة إلى بحث داخلي، واستحضار لتهجير سابق. صحيح أنه فيلم عن اللاجئين، لكن من دون رؤيتهم مباشرةً. نلاحظ الآثار، وسترات النجاة، وتأثير حالهم الكارثي. يتحوّل المنظور إلى متطوّعي الفكاهة الراغبين بالدعم والعون. المعاناة تنسحب على من يرى ويسمع وينتظر أيضاً، وإن كانت لا تقارن بأهوال ركّاب قوارب الموت. هذه الجزيرة نفسها التي كرّمها طلال ديركي في وثائقي «قصيدة إلى ليسبوس» (2016). اعتاد أهلها مساعدة اللاجئين، ما منح ثلاثة منهم ترشيحاً لنوبل السلام. في «بمشي وبعدّ»، يستدعي المكان تهجيراً سابقاً خلال الحرب الأهليّة اللبنانيّة، خصوصاً أنّ عائلة سينتيا لجأت إلى اليونان أيضاً. «شعور الحرب» يخيّم مجدّداً، فيتأرجح بوح الأختين بين جدّ وضحك وتأمّل. من عاصر الجحيم، يعرف توابعه جيّداً. نحن بصدد شريط حميميّ، مينيماليّ. يتسرّب صدقه بسلاسة إلى قلب المشاهد وعقله، رغم بعض التكرار والإطالة بين منتصفه وثلثه الأخير.

سيريل عريس يأخذنا إلى مستوى أكثر خصوصيةً في أفلمة العائلة، من خلال «المرجوحة» (2018 . 74 د . 31 آذار . س: 21:30 . متروبوليس). يبدو أنّ تصوير الأسرة بات «جانر» لبنانيّاً بامتياز، مع تعدّد عناوين أوتوبيوغرافيّة مثل «يا عمري» (2017) لهادي زكاك، و«تيتا ألف مرّة» (2010) لمحمود قعبور... المشترك أنّ السينمائي الشاب (1987) يصوّر أجداده بكثير من الشغف والحرص والشاعريّة، راصداً الاجتماعي والحياتي والسياسي اللبناني، على امتداد سنوات. مع ذلك، تختلف العناوين في التناول، والروح (طبيعة الشخوص)، والمستويات القابعة تحت السطح. فيلم سيريل يتابع اليوميات الرتيبة لجدّيه أنطوان وفيفيان، بعد الرحيل الصادم لابنتهما ماري-تيريز، إثر سفرها إلى الأرجنتين. هذه اللحظة المناسبة لبدء التصوير في نظر سيريل، لأنّ فيفيان تعرف الخبر، وتخفيه عن زوجها التسعينيّ خوفاً عليه. تحمل الحزن بمفردها، فيما يتوقع الجد مجيء ابنته في أيّ لحظة. تحاول مداراة اكتئابها، ومجاراة مرحه وغزله في هذا السن. هذا يتضافر مع طبيعتها الخائفة من الموت والتداعي، ورضاه بقرب النّهاية، لخلق «دراما» قادرة على كسر الرتابة، وتوفير مبرّر صنع فيلم أصلاً. هناك رقة عذبة. حزن شفيف. بسمة صادقة. ضحكة من القلب. متعة جاذبة، رغم أنّ الكاميرا لا تغادر البيت المسيحي القديم في الأشرفيّة. لا شيء يحصل حقيقةً. طلب فيفيان «احكيلي شي»، يقابل بصمت أنطوان شبه الأصم في النّهاية. الإطلالة على ثلاثة أنماط من الأبنية، تحيل على أجيال العائلة ذاتها، بين جدّ وحفيد يقوم بتصويره. اللافت أنّ لا ذكر للحرب الأهليّة كالمعتاد. ربّما لأنّ الشريط حميميّ للغاية، وصانعه لم يشهد الصراع. «المرجوحة» بورتريه رقيق. قصّة حبّ ملهمة، من زمن جميل. مبعث تأمّل حزين في الذات، والشيخوخة، وتداعي مدينة هجينة، لم تعد تشبه نفسها.

يتواصل فتح العدسة على اتساعها داخل الأسرة، من قبل سينمائي شاب، مع «غرفة لرجل» (2018، 77 د - 3 نيسان . س:21:30 . متروبوليس) لأنطوني شدياق (1988). هنا، يصير البوح أكثر حدّة وكشفاً لأسرار وأفكار، مع إحالات على تأثّر العائلة بالحرب. شدياق بطل الشريط. لا يخفي ميوله المثليّة. لا يطلب تعاطفاً أو مراعاةً خاصّة، رغم حسرة الأم، وخيبة الأقرباء. يريد القول لمن يعتبر ذلك نقصاً أو مرضاً، إنّ المنطقة ملعونة بأمراض حقيقيّة ونقص فعليّ، كالقمع والعنف والإلغاء والهجرة. بيروت تبدو من غرفته كياناً بلا حياة أو أمل. في الأفلام القصيرة، لدينا «ابن الرقاصة» (2018، 21 د.) لجورج هزيم، و«سلسلة اختفاءات وعلاقات غير مريحة» (2019، 14 د.) لحسين إبراهيم، و«فلوتي إكسبرس» (2019، 22 د.) لموريل حنين.

> أشرطةٌ سجاليّة عن مجازر الاحتلال الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، و«ثورات» مصر وتونس وليبيا، والتطرف والعنف واللجوء

سينمات جديدة

يتيح المهرجان فرصةً طيّبة للتفاعل مع سينما بلدان ما زالت تتلمّس الطريق، لكن بثبات وإنجاز. وثائقي «حقول الحريّة» (2018 . 99 د . 31 آذار . س:17:30 . متروبوليس) لليبيّة-الإنكليزيّة نزيهة عريبي (1984)، يصدّر صورةً مغايرة عن ليبيا نشرات الأخبار الزاخرة بالعنف والتفجيرات. نتعرّف على الإنساني والاجتماعي، من خلال أحلام فتيات عاشقات لكرة القدم. تكوين أوّل منتخب نسائي ليبي فكرة واعدة، بعد الثورة والإطاحة بالقذافي. لكنّ «فدوى» و«حليمة» و«ناما» وبقيّة اللاعبات سيكتشفن أنّ «الربيع العربي» ليس مفتاح الجنّة. الحلم يتنازعه شيوخ التكفير على المنابر، وسكوبات الإعلام، وحتى الدول التي قادت قصف البلاد. على امتداد خمس سنوات، ينقسم الشريط إلى ثلاث مراحل متساوية. الثلث الأوّل (عام بعد الثورة) يلوّنه الأمل في العيون وهتافات الحناجر، وفرح البداية والعمل، وصولاً إلى بداية الانكسار. الثلث الثاني (2 - 4 سنوات بعد الثورة) يخيّم عليه وجوم الانهيار، ورفع اتحاد الكرة يده عن الفريق، استجابةً للضغوط وتهديدات «أنصار الشريعة». بالتوازي، تسير كلّ منهنّ في طريق، لنرى المزيد من المشهد العام. الثلث الأخير (4 - 5 سنوات بعد الثورة) إذ يلتمّ الشمل، يصير الحلم حقيقةً. يطير المنتخب إلى بيروت، لتمثيل ليبيا في أوّل مشاركة خارجيّة. عريبي تواكب كلّ ذلك بإصرار مدهش. تنجز شريطاً مبهجاً، نابضاً بالطاقة والحماس. تظهر قدرة المرأة على التحقق، اعتماداً على العزيمة، وروح الفريق، وقوّة العمل الجماعي، غير آبهة بالخطر والاضطرابات وتكالب طيور الظلام.

من السودان، يحطّ روائي بعنوان «أكاشا» (2018 ـ 78 د ـ 2 نيسان . س: 19:30 . متروبوليس) لحجوج كوكا، قادماً من فينيسيا وتورونتو ومراكش. هذا عمله الثاني، بعد «على إيقاع الأنتونوف» (2014 - جائزة الجمهور لأفضل وثائقي في «تورونتو»). تتوقف الحرب الأهليّة في جبال النوبة بسبب موسم الأمطار، التي تحيل الأرض طيناً. يعود «عدنان» إلى حبيبته «لينا» كبطل حرب. حبّه لبندقيته «نانسي»، لا يقلّ عن ولعه بالفتاة القويّة. تأتي أوامر الالتحاق بالوحدة العسكريّة. يتقاعس البطل، فتصدر أوامر «أكاشا» للقبض عليه مع بقيّة المتخلّفين. قوّة الشريط في المنظور المختلف الذي يناقش الحرب وجغرافيا تلك المنطقة المجهولة. سخرية وتهكّم وعبث يصل إلى حدّ العدميّة. أكل ورود الهلوسة في الكهوف، وشرب الشاي الكيني مع كثير من السكر، وطقوس الاحتفال والرقص الجماعي... كلّها عناصر مثيرة لفضول التعرّف على مكان بكر سينمائياً كهذا.

المغرب العربي

3 عناوين مرتقبة من المغرب العربيّ. «في عينيا» (2018 . 97 د . 30 آذار . س: 17:30 . متروبوليس) للتونسي نجيب بلقاضي واصل من تورونتو وقرطاج. شريط بالغ الرقة والعذوبة، عن علاقة أب حادّ الطباع بابنه المصاب بالتوحّد، ضمن مناخ حميميّ منتصر للحياة والإنسان، بعيداً عن الميلودراما وتوسّل العواطف. تيمة النضج والاكتشاف للوالد، فيما يفترض العكس، مع أداء لافت لكلّ من نضال السعدي والطفل إدريس الخروبي. من المغرب، يحطّ محسن البصري بجديده «طفح الكيل» (2018 . 86 د . 1 نيسان . س: 19:30 . متروبوليس). ليلة في مشفى عام، تفتح الباب على مشاكل النظام الصحي، وكرامة الفقراء، وتعدّد المسارات القصصية. البصري يحسن التعامل مع النوع، فينجز شريطاً حميمياً، متماسكاً، قادراً على مخاطبة مختلف الفئات والشرائح. لا تكتمل البرمجة دون الجزائري مرزاق علواش. في جديده «ريح ربّاني» (2018 . 96 د . 30 آذار . س: 21:30 . متروبوليس)، يغزل مجدّداً على تيمة الإرهاب والتطرّف، من خلال استعداد شاب وامرأة لتنفيذ عمليّة انتحاريّة ضدّ منشأة نفطيّة. ليس أفضل أفلام علواش بالتأكيد. شخصيات على السطح. سيناريو مثقل بالثغرات والتقلّبات غير المنطقية، فيما الحبكة لا تصمد أمام كمّ الأسئلة التي تثيرها. تبقى سينماتوغرافيا الأبيض والأسود أجمل ما في الشريط، لصانع لا يهادن القضايا الشائكة، ولا يكلّ مشاكستها.

في «ريح رباني»، يغزل مرزاق علواش مجدّداً على تيمة الإرهاب والتطرف

مهرجان «أيام بيروت السينمائية»: بدءاً من اليوم حتى 6 نيسان (أبريل) ـ «متروبوليس أمبير ـ صوفيل» (الأشرفية) و«دار النمر للفن والثقافة» (كليمنصو) وعروض أخرى داخل بيروت خارجها. للاستعلام: 01/293212 أو 03/971579

فيلم الافتتاح طلال ديركي يتخبّط في الظلام السوري

لندن ــ **سعيد محمد**

اختارت «أيام بيروت السينمائيّة» افتتاح دورتها الليلة بفيلم المخرج السوري طلال ديركي «عن الآباء والأبناء» (2017 ـ 99 د ـ اليوم س: 20:00 ـ «متروبوليس»). الفيلم المثير للجدل رشّح أخيراً عن فئة أفضل وثائقي ضمن «الأوسكار». شريط مصنّع بمقاسات استشراقيّة محض لإرضاء مموليه الغربيين، لكن مع ذلك يحمل نذير شؤم عن العتمة التي يحملها الجيل الثاني من الجهاديين المنكسرين في سوريا. يروي «عن الآباء والأبناء» («الأخبار» 18/3/2019) تفاصيل حياة جهادي قاعدي ساذج من الطبقة الشعبيّة، رغم أن ديركي حاول الترويج للفيلم عبر وصفه بأنّه أحد أرفع قادة الجهاديين. يقيم الجهادي وأسرته النوويّة (ثمانية أبناء وزوجتان) في إحدى قرى إدلب. يحاول الفيلم الإيحاء بأن نموذج الجهادي المسلم، الذي يُراد للجمهور الغربي - المستهدف أساساً في الفيلم - أن يعتقد، هو شخص ملتحٍ موهوم غارق في رؤيته المؤدلجة عن العالم، يخلط كما متوحش بدائيّ عواطفه بحب أولاده مع سفك الدماء والعنف. والأخطر من ذلك كلّه أنه ينقل ثقافة قتل الآخر المريضة تلك لأبنائه الذين يعاد إنتاجهم منذ صغرهم ليكونوا وحوشاً كما آبائهم، ربّما مع جرعة حقد غائر على طفولة ضائعة وتشفٍّ للانتقام ممن كسروا جيل الآباء. يستقيل ديركي وهو يقدّم تلك الصورة النمطيّة الفاقعة، من أيّ محاولة ولو رمزيّة لتفسير منطلقات هؤلاء أو دوافعهم أو مدى تغلغل علاقاتهم بـ «أصدقاء» سوريا، تمويلاً وتسليحاً وتوجيهاً وتوظيفاً، أو حتى تاريخ تورطهم في العداء للدولة السورية.

إيقاع الفيلم بطيء واستبعاد مشاهد العنف المباشر جعله معقّماً غير قادر على الإقناع. وإذا كان ثمّة من استنتاج يتيم منه، فهو تلك القنبلة الموقوتة التي زرعها جيل الآباء في عقول أبنائهم ويتعيّن على الدولة السوريّة الآن مهمّة استيعابهم وإعادة تأهيلهم، وهي مهمة تعجز عنها دول كبرى. بغير ذلك، فإن ديركي أضاع فرصة كبرى لتفسير كل التعقيد الاجتماعي والطبقي والأيديولوجي والتاريخي والسيكولوجي الذي أنتجته المغامرة الأميركية في سوريا، واختار بأن يفصل القماش بحسب طلب الزّبون.

«عن الآباء والأبناء»: اليوم س: 20:00 ـ «متروبوليس أمبير صوفيل»

مصر تزهو بسينما الهامش... و«عفاريت» الواقعية الجديدة

القاهرة ــ **عصام زكريا**

ستة أفلام مصرية في «أيام بيروت...» تنتمي كلها إلى الهامش السينمائي المصري الذي يتسم بالجدية والفنية والروح الشبابية، ولو كان أقل شعبية ونجاحاً تجارياً من السينما الروائية السائدة بنجومها وموضوعاتها البالية. أول هذه الأفلام هو «يوم الدين» (العرض البيروتي 6 نيسان في متروبوليس بناء على دعوة ـ) لمخرجه ومؤلفه أبو بكر شوقي. عمل طازج ونادر من حيث موضوعه وشخصياته والإنسانية. ببساطة هو تطوير لعمل وثائقي قصير اسمه «المستعمرة» كان مشروع تخرج شوقي منذ عشر سنوات. يصوّر هامشاً منسياً ومنبوذاً لا يريد أحد أن يراه، هو مستعمرة مرضى الجذام التي تذكرنا بسجون العصور الوسطى، حيث يذهب المرء ويُنسى إلى الأبد. يرتكز «يوم الدين» إلى شخصيات حقيقية (معدلة روائياً) على طريقة «أفلام الطريق» أو الرحلة. من خلال قصة «راضي» الذي يترك المستعمرة بعد 30 عاماً ليبحث عن عائلته، يستعرض الفيلم مظاهر الحياة على شاطئ النيل من القاهرة إلى أقصى الجنوب. ويتبيّن أن معظم هذه المظاهر هو ترديد لـ«ثيمة» الاضطهاد والتهميش والنبذ التي طالما حفل بها تاريخ البشرية. ورغم الملاحظات التي يمكن أخذها على «يوم الدين» في ما يتعلق ببنائه المصطنع والمباشرة التي يتسم بها بعض مشاهده وحواراته، إلا أن المشاهد لا يملك سوى أن يقع أسيراً لشخصياته وحيواتها المدهشة.

الفيلم الثاني هو «ليل خارجي» لأحمد عبد الله السيد، الذي يعدّ من أبرز صناع السينما المستقلة وأغزرهم إنتاجاً. يبحث عبد الله دائماً عن أفكار فنية ومعادلات إنتاجية مختلفة تمزج بين الروائي والوثائقي والتجريبي والشعبي. في «ليل خارجي» (31 آذار ـ س: 19:30 ـ «متروبوليس»)، يبدو أحمد عبد الله أكثر تقارباً وتصالحاً مع السينما المصرية «الشعبية» حيث يعتمد على قصة وخط درامي وشخصيات تقليدية، مع لمسات فنية خاصة. يتناول الفيلم يوماً وليلة في حياة مخرج شاب يصنع فيلماً مستقلاً تجمعه مغامرة ليلية طويلة بسائق تاكسي وبائعة هوى. المخرج الذي يمثّل معادلاً موضوعياً، أو «أنا بديلة» Alter ego لأحمد عبد الله نفسه، يبدأ اليوم على خصام مع السائد والشعبي وينتهي متصالحاً معه، مثّل الفيلم نفسه الذي يبدأ بالحديث عن شاب ريفي يموت غرقاً أثناء محاولته الهجرة غير الشرعية، وعن أديب شاب يسجن بسبب رواية كتبها، لينتهي بمشروع زواج بين السائق وبائعة الهوى و«خناقة» في حارة شعبية. وعبد الله الذي يجيد إدارة ممثليه، ينجح هنا في تشكيل فريق متجانس يتكون من كريم قاسم ومنى هلا وشريف دسوقي، إلى جانب أحمد مجدي وبسمة وأحمد مالك وممثلين معروفين في أدوار شرفية قصيرة. بشكل عام، يتخلص عبد الله من المشاهد التأملية البطيئة لصالح إيقاع أكثر سرعة وحيوية ودرامية، لكن تظل المشكلة في السيناريو التقليدي وبعض المواقف والحوارات المستهلكة.

تُعرض أيضاً ضمن المهرجان ثلاثة أفلام وثائقية حديثة هي «الحلم البعيد» (إخراج مروان عمارة ويوهانا دومكي) و«أمل» (إخراج محمد صيام)، و«يأتون من بعيد» (إخراج أمل رمسيس). يثير «الحلم البعيد» (30 آذار ـ 19:30 . متروبوليس) أسئلة حول حدود التداخل بين الوثائقي والروائي. من الغريب مثلاً، تصنيفه كوثائقي ليس فقط من قبل صانعيه، لكن من قبل مهرجانات دولية كبرى. منذ اللحظة الأولى التي يبدأ فيها الفيلم بمشهد لمدينة شرم الشيخ الجرداء عند الفجر وطائرة تحلق في السماء تدخل «الكادر»، تتبيّن الطبيعة الاستعارية للفيلم الذي يدور حول شباب محاصرين بين مدينة سياحية لم يعد يذهب إليها السياح وحلم الهجرة. منذ المشهد الحواري الأول بين فتاة ملتحقة حديثاً بالعمل وفتاة تنظيف غرف، تتبيّن الطبيعة التمثيلية للعمل، الذي يتكون من مشاهد وحوارات مكتوبة ومتفق عليها مؤداة باصطناع ساذج غالباً. «الحلم البعيد» قد يكون فيلماً فنياً جيداً لكنه بالتأكيد ليس وثائقياً. «أمل» (2 نيسان . س: 21:30 . متروبوليس) من ناحية أخرى هو فيلم وثائقي بامتياز، وتحديداً النوع المسمى بالوثائقي الروائي Feature Documentary، الذي يستخدم بعض عناصر السينما الروائية لكنه يحافظ على النظرة الموضوعية والمشاهد الطبيعية للشخصيات في حياتها اليومية من دون تدخل يلحظ من قبل صناع العمل. على مدار ست سنوات، يتتبع المخرج محمد صيام حياة فتاة صغيرة انضمت إلى ثورة 25 يناير وهي في الـ 14 من عمرها حتى تجاوزت العشرين. من خلال مشاهد لحياتها في قلب الأحداث وأخرى تتحدث فيها عن حياتها ومشاهد «فلاش باك» التقطها أبوها لها في مراحل سابقة، يروي لنا الفيلم قصة مؤثرة وملهمة، تخلو من التقريرية أو التعليق المباشر، لكنها توثق ليس فقط لحياة بطلته بل لوطن بالكامل معلّق على حافة التاريخ. موضوع «يأتون من بعيد» (5 نيسان . س: 19:00 . متروبوليس) قد يختلف عن موضوع «أمل»، فهو يتناول قصصاً عائلية متفرقة على مدار عقود، لعائلة فلسطينية تفرق أبناؤها وأحفادها بين الشتات، وهو يضع هذه القصص على خلفيات تاريخية وسياسية كثيرة. مع ذلك، ينجح بشكل عجائبي في المزج بين الخاص والعام، والحاضر والماضي، بشكل متماسك ومؤثر. أخيراً، يُعرض «عفاريت الاسفلت» (2 نيسان . س: 18:30 . دار النمر) أول أعمال المخرج الراحل أسامة فوزي الذي يعد واحداً من الإرهاصات الأولى والتأسيسية للسينما المستقلة في مصر، خاصة مع فيلمه الثاني الفارق «جنة الشياطين». خرج «عفاريت الإسفلت» من عباءة الواقعية الجديدة وأفلام المهمشين التي انتشرت خلال التسعينيات، ليلقي بهذه العباءة على قارعة الطريق، معلناً ثورة فنية وأخلاقية جديدة تُعنى بالذاتي على حساب السياسي، وبالفنية على حساب القضية، وبالكشف على حساب الوعظ... من خلال الغوص في مجتمع يتحمم بالفساد ويتلحف بالنفاق.

إن عرض «عفاريت الإسفلت» ضمن تظاهرة تعنى بالسينما البديلة والشباب بشكل أساسي ليس فقط تكريماً لروح فنان استثنائي، ولكنه أيضاً اعتراف وامتنان لمخرج أسهم بأعماله في التمهيد للثورة الكبيرة التي غيّرت معالم السينما العربية مع بداية الألفية الثالثة.

في «ليل خارجي»، يبدو احمد عبد الله اكثر تصالحاً مع السينما المصرية «الشعبية»

غسان سلهب يمدّ جسراً عربياً إلى روزا (لوكسمبورغ)

قد يتوقع المشاهد أن شريط غسان سلهب الجديد «وردة» (72 د ـ 2019 ـ 4 نيسان ـ س: 21:15 . «متروبوليس» ـ 5 نيسان في «مركز الصفدي») الذي يعرض في يوم مخصص للأفلام التجريبية ضمن المهرجان في بيروت، هو عبارة عن سيرة توثيقية للمفكرة والمناضلة الماركسية الراحلة روزا لوكسمبورغ. لكنه سرعان ما سيكتشف أن التوثيق الذي يقوم به الفيلم، ليس توثيقاً عادياً أو من صنف البيوغرافيا التقليدية، بل عبارة عن سفر في مجموعة قضايا، تمرّ بين ذاكرة روزا وحاضرنا.

هكذا، انطلاقاً من برلين، حيث صُوّرت لقطات كثيرة من الشريط، تمشي الأحداث مما بعد حقبة «سبارتاكوس» وصولاً إلى أبطال الفيلم، أي روزا لوكسمبورغ نفسها، والعمال والمقاتلون من أجل العدالة. كالعادة، ليس هناك «قصة قصيرة»، كما في أفلام سلهب، والحبكة معقدة، لكن يمكن تقسيم الشريط إلى ثلاث محطات بصرية رئيسة. المحطة الأولى مع المدينة، حيث نتعرّف إلى العلاقة بين المكان وأشخاصه، إلى الحديقة والقطار والجوانب الأخرى من الحيّز المكاني. المحطة الثانية مع رسائل روزا إلى العالم في زمانه، وإلى المستقبل. يركز الشريط كثيراً على الصوت، حيث تظهر أهميته في كل فقرة من الفقرات، عندما يكون الصوت صوت المفكّرة. إذ تتحدث عنها الرسائل، أو تتحدث الرسائل عن نفسها، أو عندما يكون صدى للماضي في هذا الحاضر. أما المحطة الثالثة فهي روزا وسيرة العمال والمقاتل الفلسطيني، حيث ينتصف وجهها في الشاشة، كشاهدٍ على التاريخ وصانع له.

لا حوارات في الشريط، بل إنه عبارة عن حوار طويل بين «وردة» في التاريخ، وأثرها في المستقبل. ورغم أن المشاهد اعتاد على وجود نواح ميلانكولية كثيرة في أعمال سلهب السابقة، إلا أنه هذه المرة يستبدلها بسردٍ حزين في طابعه، بينما يحاول أن تكون الخاتمة مناقضة لهذا الحزن. غالبية اللقطات صوّرت في ألمانيا، ولكنه فيلم باللغتين الألمانية والعربية، وينسحب هذا التفصيل على ركيزة أساسية في عمل سلهب وهي الصوت. صوت روزا لوكسمبورغ في «وردة» يتردد في أكثر من طريقة وأكثر من مكان. وبالنسبة إلى التفاصيل الأخرى، فالشريط ليس طويلاً، لكنه ليس قصيراً أيضاً. اللقطة الأولى طويلة نسبياً، وفيها تأثر نسبي بتقنيات يحبذها عباس كيروستامي وجعفر بناهي. أما بقية اللقطات فهي مسبوغة بأسلوب غسان سلهب المعروف.

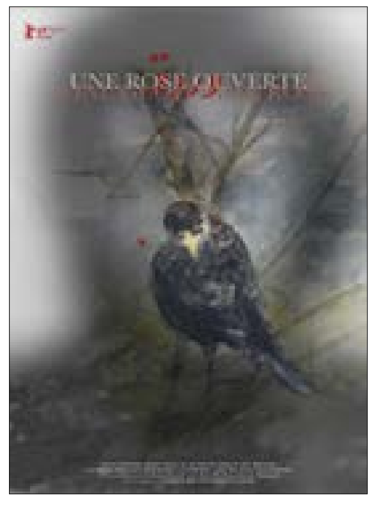

«وردة»: 4 نيسان ـ س: 21:15 . «متروبوليس» (بيروت) ـ 5 نيسان . س:16:00 في «مركز الصفدي الثقافي» (طرابلس)

* يوقع غسان سلهب «دي في دي» أفلامه يوم 4 نيسان (س:20:00) في «متروبوليس»